القسم الأول : في الحقائق

القسم الثاني : الموضوع

ويشتمل على بابين :

الباب الأول : في بيان كيفية توحيد الأمة الإسلامية في الماضي .

الباب الثاني : في بيان كيفية توحيد الأمة الإسلامية في الحاضر .

الباب الأول

بيان كيفية توحيد الأمة الإسلامية في الماضي

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في بيان تقرير الولاء.

الفصل الثاني: في بيان مرتكزات الولاء.

الفصل الثالث: في المجال التطبيقي عبر التاريخ.

الفصل الأول
بيان تقرير قاعدة الولاء
الولاء طبيعة بشرية

أولاً - في المؤمنين
ثانيًا - في الكافرين
ثالثًا - في المنافقين
وتعليل ذلك وبيان ثمرته

الولاء طبيعة بشرية

الولاء طبيعة بشرية[1] من جملة الطبائع التي خلق الله تعالى عليها الناس، فلا بد للناس من التجمع بحكم الفطرة لإشباع غريزة الألفة وتحقيق الحاجات، ولذلك قيل: الإنسان اجتماعي بطبعه، أي أنه لا يستطيع أن يعيش وحده: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾[2] وكما قال الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعضهم لبعض وإن لم يشعروا خدم

ولكن هذا التجمع قد وضع الشرع له أُسساً تفضي به إلى أن يكون عنصر خير للبشر يحميهم من عدوهم الأول وهو الشيطان الرجيم ويحول دون استغلال الشيطان وعملائه من البشر لما جبل عليه الإنسان من الشهوات المختلفة: شهوة الجاه أو المال أو الجنس أو اتباع الهوىأوالتقليد فيرسم له الطريق الصحيح الذي يوصله إلى دار السلام في الدنيا والآخرة.

فوضع الشرع لهذا التجمع أساساً متيناً وهو التقوى لله تعالى والإيمان به،

---

(١) والولاء بمعناه العام يعني مطلق الارتباط وهو في البشر الميلان القلبي الذي يؤدي بطبيعة الحال إلى المناصرة تقول العرب: فلا ولى فلان ويواليه وبينهما موالاة إذا كان بينهما محبة ومودة، والمحبة تنشأ عن التجانس العقائدي الذي يعكسه السلوك العملي ففي الحديث: الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف وما تنكر منها اختلف. اهـ وتقول العرب: ان الطيور على أشكالها تقع.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

والإيمان عمل القلب والتقوى عمل الجوارح فإذا تلقى القلب عن الله وعملت الجوارح، بما تلقاه القلب فإن ذلك سوف يؤدي بالإنسان إلى أن يكون عنصراً صالحاً في التجمع البشري، وأن يكون المجتمع المتلقي عن الله تعالى مجتمعاً مثالياً لأن الله تعالى يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

وقد انقسم الناس أزاء هذا الولاء إلى ثلاثة أقسام تجمعوا على أساسها وهم المؤمنون والكافرون والمنافقون[1] وإليك إشارة القرآن إلى حال كل واحد من هذه الأقسام:

أولاً ـ الولاء في المؤمنين:

قرر الله تعالى في القرآن الكريم أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض بسبب تجانسهم في المعتقد وفي العمل فقال تعالى: **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[2] وقال: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**﴾[3]، ﴿**إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض**﴾[4].

ثانياً ـ الولاء في الكافرين:

وقرر القرآن كذلك أن الكافرين كيان مستقل: ﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض**﴾[5] وحذر من اسقاط هذه الحقيقة من الاعتبار أثناء التعامل معهم

---

(١) وانظر تصنيف الناس في التصور الاسلامي بتوسع في كتابنا: تصوير الكتاب والسنة للانسان من اين جاء ما هو دوره الى اين مصيره.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٤) سورة الانفال، الآية: ٧٢.

(٥) سورة الانفال، الآية: ٧٣.

فقال تعالى: ﴿**إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**﴾[1] بمعنى أنه إذا لم يوالِ المؤمنون بعضهم بعضاً كما يوالي الكافرون بعضهم بعضاً فإنهم يصبحون سبباً في شيوع الفتنة في الأرض وانتشار الفساد فيها، لأن الكافرين بموالاة بعضهم لبعض يصبحون قوة مؤثرة في الأرض، فينهزم المؤمنون الذين لم يوالِ بعضهم بعضاً أمامها. وذلك لأن الوحدة قوة وإن كانت في الكافرين كما قال تعالى: ﴿**ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس**﴾[2].

ولأن الفرقة ضعف وإن كانت في المؤمنين كما قال تعالى: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾[3] أي قوتكم.

ثالثاً ـ الولاء في المنافقين:

كما قرر أيضاً أن المنافقين يوالي بعضهم بعضاً ﴿**والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون**﴾[4] وأن هؤلاء المنافقين كيان خاص مستقل في ذاته لكنه يندس في أوساط الكيان الإسلامي تارة وفي أوساط الكيان الكافر تارة، وذلك بحسب ما تقتضيه مصلحتهم. ﴿**الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة**﴾[5] ﴿**مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء**﴾[6]، ونهاية هؤلاء إنهم عند الله تعالى يوم القيامة من الكافرين ﴿**إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً**﴾[7]، لأن

---

(١) سورة الانفال، الآية: ٧٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.
(٣) سورة الانفال، الآية: ٤٦.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٦٧.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٤١.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٤٣.
(٧) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

ولاءهم في النهاية للكافرين كما قال تعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾[٧].

خطر تجاوز هذه الحقيقة:

ثم منع الله تعالى من تجاوز ما حدده للمؤمنين من أحكام وتشريعات بعامة فقال: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾[٢]، ﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾[٣]، ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾[٤]، ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾[٥].

ومنع من تولى المؤمنين للكافرين بخاصة فقال: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾[٦]، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾، ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾[٧].

وإنما كان الأمر كذلك لمنع دخول الكافرين في صف المؤمنين فيورثهم ذلك خذلاناً وضرراً في حال الإطمئنان إليهم ومحبتهم لما بين الطرفين من العداء بسبب التخالف في المعتقد ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين﴾[٨]. ﴿كيف

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.
(٧) سورة الانفال، الآية: ٧٣.
(٨) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

وإن يظهروا عليكم ولا يرقبوا فيكم ألا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون﴾[1] **﴿لا يرقبون في مؤمن إلاً ذمة وأولئك هم المعتدون﴾**[2]، **﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفض صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾**[3].

وإنما منع الله تعالى من موالاة غير المؤمنين لأنهم بموالاتهم يصبحون في جسم الأمة الإسلامية بمثابة الخلايا الميتة المريضة فيورثه ذلك مرضاً ربما أودى بحياته كما قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾**[4].

ثمرة وحدة الولاء:

إن وحدة الولاء في أي قطاع من البشر كانت تؤدي إلى القوة والتماسك، وإن تعدد الولاء يؤدي إلى الضعف والتفكك، وإذا كانت هذه الحقيقة منطبقة على المؤمنين بالله وهم خير قطاعات البشر فإن تحققها في غيرهم من الناس حاصل من باب أولى، فقد أخبر الله تعالى أن وحدة الولاء تفيد المؤمنين في حالتين:

الحالة الأولى ـ حالة الحرب:

حيث بيّن تعالى أن المؤمنين ينتصرون على أعدائهم بوحدة ولائهم فقال تعالى: **﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم المفلحون﴾**[5]، **﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾**[6] **﴿لن**

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.
(٤) نفس المصدر.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٦.
(٦) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾[1] **﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾**[2] **﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق﴾**[3].

وفي الحديث عن ثوبان بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارق الأرض ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكهم بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد. وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال: من بين أقطارها، حتى يكون يهلك بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً﴾[4].

كما أخبر تعالى أن المؤمنين ينكسرون أمام عدوهم إذا تفرقت كلمتهم وتمزق شملهم بتعدد ولاءاتهم ومراجعهم فقال تعالى: **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾**[5] أي قوتكم وقال محذراً من سلوك طريق الفرقة التي وقع فيها من قبلنا من الأمم **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾**[6].

وفي حديث معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١١.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الانبياء، الآية: ١٨.

(٤) الحديث رواه مسلم في كتاب الفتن. باب هلاك هذه الامة بعضهم ببعض، وانظر مختصر مسلم للمنذرى رقم الحديث ٢٠٠٠.

(٥) سورة الانفال، الآية: ٤٦.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية وإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد﴾[1].

فالتفرق والتنازع يؤدي إلى إضعاف الأمة في مجموعها لأنه بمثابة الجرح في البدن، ولهذا سمي الخلاف المفضي إلى التدابر والبغضاء في اللغة شقاقاً أي جرحاً في جسد الأمة يورثها نزيفاً يفضي في حال استمراره إلى هلاكها بما يتيحه من فرصة دخول جراثيم المنافقين والمندسين وأصحاب الغايات المشبوهة إلى داخل البدن فتمرضه وتقتله في نهاية المطاف.

الحالة الثانية ـ حالة السلم:

فقد بين تعالى أن المؤمنين إذا تآلفت قلوبهم واجتمعوا بعد فرقة على رأس واحد فإنه تعالى يؤويهم إلى رحمته ويغدق عليهم من خزائن السموات والأرض ما شاء إلى جانب نصره لهم على عدوهم وتمكينهم في الأرض بسبب إيمانهم بالله تعالى بتوحيد ولائهم له ونبذ الشرك، وبتوحيد ولائهم للمؤمنين ونبذ التفرق فقال تعالى: **﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾**[2].

لكن هذا العطاء من الله تعالى للمؤمنين يكون على سبيل الإكرام وأما عطاؤه للعصاة والكافرين فإنما هو على سبيل الإستدراج فقد روى عقبة ابن عامر أن النبي ﷺ قال: إذا رأيتم الله تعالى يعطي العباد ما يشاؤون على معاصيهم فإنما ذلك استدراج منه لهم، ثم تلا قوله تعالى: **﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون،**

---

(١) رواه احمد والطبراني ورجال احمد ثقات، الا ان العلاء بن زياد قيل انه لم يسمع من معاذ كذا في مجمع الزوائد جـ ٥ ص ٢١٩، انظر جمع الفوائد جـ ١ ص ٤٧ رقم ٠٦٠٤٨.

(٢) سورة الانفال، الآية: ٢٦.

فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾[1].

وقد قال تعالى: **﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾**[2]، **﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾**[3]. ولكن هذا العطاء لمن ظلموا أنفسهم بكفرهم ومعاصيهم محدود إلى أجل معين ثم يأخذهم الله تعالى بمعاصيهم وكفرهم بما شاء كيف شاء كما قال ﷺ: «إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ قوله تعالى: **﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة أن أخذه أليم شديد﴾**[4].

---

(١) سورة الانعام، الآية: ٤٥. والحديث رواه الامام احمد انظر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٣٢. والقرطبي جـ ٦ ص ٤٢٦.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٧.

(٣) سورة الاسراء، الآية: ١٨.

(٤) سورة هود، الآية: ١٠٢. والحديث رواه البخاري كتاب التفسير من صحيحه عند تفسير سورة هود جـ ٦ ص ٩٤ ورواه مسلم في كتاب البر باب تحريم الظلم جـ ١٦ ص١٣٧.

الفصل الثاني

مرتكزات الولاء

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : مرتكزات الولاء الكوني :

الركيزة الأولى : الضبط .

الركيزة الثانية : الربط .

المبحث الثاني : مرتكزات الولاء الشرعي :

الركيزة الأولى : المحبة .

الركيزة الثانية : المناصرة .

سنن الله تعالى ماضية

لله تعالى سنتان: إحداهما كونية والأخرى شرعية، ولكل منها ركيزتان، وهاتان السنتان تشتركان في الولاء لله تعالى، لكن الكونية ولاؤها قهري والشرعية ولاؤها اختياري.

المبحث الأول ـ مرتكزات الولاء الكوني:

فسنّة الله تعالى الكونية التي تعتمد على الولاء القهري ترتكز على ركيزتين اثنتين:

الركيزة الأولى ـ الضبط، وهو صفة جزئية.

الركيزة الثانية ـ الربط، وهو صفة كلية.

ويستوي في ذلك عالم الجماد في أصغر وحداته وهي الذرة وأكبر وحداته وهي الفرد الكامل من كل نوع من أنواعه، أو في عالم الأحياء سواء في النبات أو في الحيوان في أصغر وحداته وهي الخلية وأكبر وحداته وهي الفرد الكامل في كل نوع من أنواعه حيث ترتبط الذرات المنضبطة بنظام معين بعضها ببعض لتشكل الفرد المادي التي هي أساسه وركيزته وحيث ترتبط الخلايا المنضبطة بعضها ببعض لتشكل الفرد الحيواني أو النباتي التي هي أساسه وركيزته فالإلكترونات في الذرة منضبطة في أحجامها مهما تناهت في الصغر ومرتبطة بمحورها وهو النترون، والمواد المكونة للخلية[1] منضبطة في نسبها مهما تناهت

(١) وهي ستة مواد: الأملاح، البروتينات، الدهنيات، الفيتامينات، النشويات والماء.

في الصغر ومرتبطة بمحورها وهو النوى.

وبدون عنصري الضبط والربط في الذرة فلا جماد، وبدون عنصري الضبط والربط في الخلية فلا نبات ولا حيوان، وبدون عنصري الضبط والربط بين عالم الجماد والنبات والحيوان فلا حياة وبدون انضباط وارتباط عالم الحياة بكلمة الله تعالى الكونية فلا وجود ﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾[2]، فكان قيام الكون بسنة الله تعالى الكونية أو رعايته لها ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾[3].

المبحث الثاني ـ مرتكزات الولاء الشرعي:

وسنة الله تعالى الشرعية التي تعتمد على الولاء الاختياري والتي تهدف إلى إيجاد المجتمع المؤمن بالله تعالى لمحاربة الباطل والكفر بكل صوره وأشكاله لتجعل منه بنياناً متكاملاً وجسداً متماسكاً يواجه الباطل ويزهقه ﴿**قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً**﴾[1]، ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾[2] وذلك فيما إذا تحققت سنة الله تعالى الشرعية بإرادة المؤمنين وسعيهم واختيارهم لتوحيد ولائهم مع الله تعالى وتوحيد ولائهم مع المؤمنين ترتكز هذه السنة أيضاً على ركيزتين اثنتين لتحقيق وحدة الجسد الإسلامي وتماسكه وهما:

الركيزة الأولى ـ المحبة:

ففي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3] وفيه أيضاً: «ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ٨١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان. انظر مختصر مسلم للمنذري جـ ١. ص ١٤ رقم الحديث/٢٢.

(٤) نفس المصدر رقم الحديث/٢٤.

(٥) سورة الحجرات، الآية: ١١.

أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[1].

وهي من أعمال القلوب حيث بالمحبة تتحقق الألفة ووحدة الصف ولذلك نهى الله تعالى عن كل ما يحول دون تحققها في المؤمنين فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم**﴾[2].

وفي سبيل تحقيق الألفة ووحدة الصف أوجب الشرع على المؤمنين إزالة أسباب الفرقة والإنقسام ولو بالقوة ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين**﴾[3]، وبيّن الهدف من ذلك وهو تقرير بقاء الأخوة والألفة والمحبة بين المؤمنين لتبقى لهم قوتهم يحافظون بها على أنفسهم وعلى حقوقهم: ﴿**إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾[4] والذي حقق فيهم وصف الأخوة والألفة إنما هو القرآن الكريم الذي هو نعمة الله تعالى على البشر: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**﴾[5]، والدليل على وصفه بالنعمة قول الله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[6].

---

(١) نفس المصدر رقم الحديث/ ٢٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٣.

الركيزة الثانية المناصرة:

وهي من أعمال الجوارح حيث بالمناصرة تتحقق السلطة والهيمنة للمؤمنين على مجتمعهم وتقع لهم بها الهيبة في قلوب أعدائهم فيتحقق لهم النصر عليهم عند المواجهة (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾[1].

كما قرر النبي ﷺ هذه الحقيقة وبينها بقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً [2] ﴿**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر**﴾[3] والمودة هي المحبة الخالصة والتعاطف هو انعطاف الشيء وانثناء بعضه على بعض لجلب منفعة أو دفع مضرة فالمحبة في الأفراد بمنزلة اللبنة، والمناصرة في مجموع الأمة بمنزلة المواد اللاصقة تشد اللبنات بعضها إلى بعض لتشكيل القلعة المتينة التي تحفظ أهلها من السهام وأطماع اللئام.

ولهذا امتن الله تعالى على رسوله بتأليف قلوب المؤمنين ومناصرتهم له بما أودع الله تعالى في قلوبهم من الإيمان بالقرآن وهو أمر لا يملكه غير الله تعالى بحال من الأحوال فقال: ﴿**هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم**﴾[4].

وعندما تغفل الأمة عن قضية الولاء فيما بينها يدب فيها الضعف والتفكك فيطمع فيها الأعداء على اختلاف أصنافهم ومذاهبهم وتياراتهم للإجهاز على هذه الأمة

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) رواه البخاري والنسائي والترمذي وابن ماجه. انظر فيض القدير جـ ٦ ص ٢٥٢ رقم ٩١٤٣.

(٣) رواه مسلم في باب الادب ورواه احمد عن النعمان بن بشير. انظر فيض القدير جـ ٥ ص ٥١٤ رقم ٨١٥٥.

(٤) سورة الانفال، الآية: ٦٣.

وتقطيع أوصالها وتحويلها إلى خلايا حية في أجساد أعدائها كما تتحول الأطعمة في المائدة إلى خلايا في جسد المتحلقين عليها من الأكلين كما أخبر النبي ﷺ عن هذه الحقيقة الصارخة والماثلة أمام أعيننا بكل وضوح نحسّ بها في الليل وفي النهار في السر وفي العلانية بقوله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ـ أي مفككون لا محبة ولا مناصرة فيما بينكم ـ ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله، قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[1] وحب الدنيا يؤدي إلى التنافس عليها مما يجر إلى التباغض بين المتنافسين، وكراهية الموت يؤدي إلى الجبن عن التناصر حباً في السلامة، فيكون الضعف والهوان والذل وطمع العدو فيهم يسبب زوال هيبة المؤمنين من قلوب أعدائهم بتعدد ولائهم وتفكك أواصرهم وانفصال أجزاء جسدهم بعضها عن بعض فيتجرأ عليهم العدو كما تتجرأ القطط على سبع مقطع الأوصال لا رأس له ولا أطراف.

ومن هنا جاء النكير الشديد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية على الفرقة والنزاع والخلاف المؤدي إلى التناحر والتدابر والتكفير والإستنصار على المؤمنين بغير المؤمنين لما يؤدي إليه ذلك من هدم كيان الأمة وتطويعه للكفر وأهله.

ففي القرآن الكريم: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾**[2] **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾**[3] أي قوتكم **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾**[4] **﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾**[5]،

---

(١) رواه ابو داود. انظر جمع الفوائد جـ ٢ ص ٧١٧ رقم ٩٨١٨. ورواه الامام احمد في مسنده بسند صحيح انظر المسند جـ ٥ ص ٢٧٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة الانفال، الآية: ٤٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣٢.

﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء﴾[1] **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾**[2].

وفي السنة النبوية: «يد الله مع الجماعة فمن شذّ شذّ في النار»[3]، «من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[4]، «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[5]، «من جاءكم وأمركم جميع يريد شق عصاكم فاضربوا عنقه كائناً من كان»[6]، «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[7]، «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»[8] وهذا فيما لا موجب للإقتتال عليه مما يجوز الخلاف فيه بين المؤمنين وفي حال الفتنة العمياء.

وبدون هاتين الركيزتين وهذين العنصرين فلا حياة ولا وجود للجسد

---

(١) سورة الانعام، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

(٣) رواه الترمذي عن ابن عمر مرفوعا ولفظه: (ان الله لايجمع امة محمد على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار) وقال فيه: هذا حديث غريب من هذا الوجه. ١. هـ. جـ٦ ص٣٨٦ تحفه الاحوذي. قال المباركفوري في شرحه للترمذي: قال ابن حجر في تلخيص الحبير: وامته معصومة لا تجتمع على الضلالة هذا في حديث مشهور له طرق كثيرة لا يخلو واحد منها من قال. ١هـ. وانظر كشف الخفاء ص٥٤٧ رقم ٣٢٢٣ بلفظ يد الله على الجماعة.

(٤) رواه ابو داود عن ابي ذر مرفوعا، وسكت عنه في تخريج السنن جـ٧ ص١٤٨. كما في الفوائد جـ١ ص٨٤٧ رقم ٦٠٤٢. ولمسلم جـ١٢ ص٢٣٨: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية.

(٥) رواه مسلم جـ١٢ ص٢٤٢ كتاب الامارة.

(٦) رواه مسلم جـ٢١ ص٢٤١ كتاب الامارة بلفظ: من اراد ان يفرق امر هذه الامة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان اهـ.

(٧) رواه احمد وابن ماجه والنسائي وابو دواد والبخاري وغيرهم. انظر فيض القدير جـ٦ ص٣٩٤ رقم ٩٧٦٧.

(٨) رواه مسلم في كتاب الفتن باب: اذا تواجه المسلمان بسيفيهما. انظر شرح النووي جـ١٨ ص١١.

الإسلامي ولا خير في هذا البناء الإسلامي عندئذ لأنه متفكك ميت لا يقوى على جلب نفع لنفسه ولا على دفع ضرّ عنها، ويصير بـذلك محـلاً لطمـع أعدائـه وخصومه فيستغلونه لما يحقق مصالحهم ويحفظ وجودهم بتحويله إلى خلايا حية في أجسادهم أو إلى أدوات طيعة للدفاع بها عن أنفسهم، وتلك هي الخسارة الكبرى والمصيبة العظمى أن يتحول الحق إلى خادم وأداة للباطل مما يؤدي إلى اندثار الحق وزهوقه وانطمار معالمه بجور الباطل عليه.

وكما اقتضت سنّة الله تعالى الكونية أنه متى انفصل الرأس عن الجسد أدى إلى تحلل الجسد وتحول كل خلية أو مجموعة من الخلايا فيه إلى رأس مستقل، ثم يأكل بعضها بعضاً حتى يفنى الجسـد ويندثـر، كذلـك فإن سنـة الله تعالى الشرعية اقتضت أنه متى لم يكن لجسد المسلمين رأس واحد فإن كل فرد وكل مجموعة من الأفراد ستصبح رأساً مستقلاً يعمل على التهام غيره وهكذا حتى يفنى الجسد الإسلامي ويندثر.

والتاريخ شاهد صدق على ذلك.

الفصل الثالث
في المجال التطبيقي عبر التاريخ

أ - في عهد النبي ﷺ.

ب - في عهد أبي بكر.

جـ - في عهد عمر بن الخطاب.

د - في عهد عثمان بن عفان.

هـ - في عهد علي بن أبي طالب.

و - في عهد الحسن بن علي وتنازله لمعاوية.

ز - في العهد الأموي.

حـ - في العهد العباسي.

ط - في العهد العثماني.

ي - في العصر الحاضر.

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب[1]

إن إلقاء نظرة سريعة على التاريخ الإسلامي في مختلف مراحله وعصوره ليثبت بالدليل القاطع مدى ضرورة أن يكون للأمة ولاء واحد ورأس واحد لتدب الحياة في خلايا الجسد وأجهزته وأوصاله، إذ لا خير في جسد لا رأس له ولا خير في رأس لا جسد له، كما أنه لا خير في رأس متعدد الأجساد ولا خير في جسد متعدد الرؤوس لأن ذلك كله مما يخالف ويناقض سنّة الله تعالى الكونية والشرعية.

وعندما ينطبق الواقع التاريخي مع الحكم الشرعي الذي يوجب على المؤمنين وحدة الولاء ويعدهم القوة والعزة والنصر والتمكين في الأرض إن هم فعلوا ذلك، والذي يحرم على المؤمنين تعديد الولاء ويحذرهم من نتيجة ذلك، وما يؤدي إليه من ضعف ومهانة وهزيمة وتشريد في الأرض إن هم خالفوا ذلك الحكم الشرعي فإن هذا التطابق يؤدي إلى مزيد من الثقة لدى المؤمن بحكم الله تعالى وتحقق وعده ووعيده إذ ليس الخبر كالعيان ولهذا قال إبراهيم عليه السلام: **﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾**[2].

ولكن للعيان لطيف معنى ... له سأل المعاينة الخليل

وإليك إشارات تاريخية عاجلة تبين هذه الحقيقة لتوصل إلى تلك النتيجة إن شاء الله تعالى:

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

أولاً ـ في عهد النبي ﷺ:

حين التزم الأوائل في عهد النبي ﷺ بهذه الأوامر وأدركوا هذه الحقيقة جعل الله تعالى منهم وحدة واحدة وقوة ضاربة فرضت سلطانها على الجزيرة العربية فأصبحت في قبضة المؤمنين بعد أن كانت في قبضة الشيطان وعملائه من جهات دولية ومحلية فككت الأمة وشرذمتها وأضعفتها لتستبد بها، فوحد الإسلام ولاء الأمة على الله تعالى بالإيمان بالله ورسوله ووحد الإسلام ولاء الأمة على النبي ﷺ باعتباره قائد الأمة وأميرها ورأسها الأوحد.

ثانياً ـ في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

بعد لحاق رسول الله ﷺ ـ الذي هو قائد الأمة ورئيسها ـ بالرفيق الأعلى نشأت رؤوس عديدة ومحاور كثيرة بفعل الدّسّ من اليهود والمنافقين لإيجاد عوامل الصراع في الجزيرة لإعادتها إلى ما كانت عليه من الضعف والتفكك ليتمكن منها أعداؤها ويستخدموا بعض أبنائها على بعض من خلال دعم هذا الطرف على ذاك، فيجعلوا من تعدد ولاءاتهم وإن في دائرة الإسلام سبباً في تدميرهم.

فوقف أبو بكر رضي الله عنه وقفة عملاقة لإعادة المسلمين في الجزيرة كلها تحت لواء واحد وولاء واحد. فجرد الجيوش وقاتل المتعددين في ولائهم سواء منهم من ارتد عن الإسلام بالكفر بدين الله تعالى جملة وتفصيلاً أومن ارتد عن الإسلام بمنع أداء الزكاة وقال: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة إنها لقرينتها في كتاب الله تعالى»[1]، فقاتل التعدديين في ولائهم حتى أعادهم إلى بيت الطاعة لرأس واحد ضمن الجسد الواحد.

ولهذا فقد حقد أعداء الإسلام الطامعين فيه على أبي بكر رضي الله عنه حقداً كبيراً لما فوته عليهم بموقفه المتصلب في قضية وحدة الولاء من فرصة القضاء عليه بعد نبيه ﷺ، فحمد المسلمون الله تعالى على وقفة أبي بكر الجبارة

---

(١) البداية والنهاية جـ ٦ ص ٣١١.

وذهبت وقفته بعد ذلك مثلاً في التاريخ عبر الأجيال حتى قيل (ردة ولا أبو بكر لها) في القضايا الخطيرة التي يعتمد نجاحها على الثبات والعزيمة ووضوح الرؤية.

ثالثاً ـ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

تابع عمر بن الخطاب المسيرة بعد ذلك وفتح بلاد فارس والروم الذين حاولوا في عهده غير مرة أن يوجدوا محاور في داخل المدينة ولكنه كان يقظاً ومن معه من المؤمنين فلم يتمكنوا من ذلك، فعمدوا إلى اغتياله لعلهم بذلك يفسحون المجال لتتعدد الرؤوس والولاءات من بعده في المجتمع فيتمزق شمله ويتفكك صفه، لكن الله تعالى حفظ المسلمين بمشورة عمر نفسه حيث أمر ستة من الصحابة المبشرين بالجنة وهم: عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، بأن يجتمعوا في منزل واحد منهم وينتخبوا أحدهم ولا يخرجوا إلا وقد اجتمعت كلمتهم عليه، فمن نازعه فليضربوا عنقه كائناً من كان فوقع اختيارهم على عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين.

رابعاً ـ في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

واصل عثمان بن عفان المسيرة بعد عمر بن الخطاب حتى فتح الله تعالى عليه مشارق الأرض ومغاربها فوصلت جيوش الإسلام إلى مشارف الصين شرقاً وإلى أطراف أفريقيا غرباً وتخوم إسبانيا بعد أن قضى على الفتنة التي نشبت بعد مقتل عمر رضي الله عنه والثورات التي فجرها الروم والفرس مستخدمين في ذلك فئة المنافقين فأثاروا الإشاعات والأراجيف وأغروا في التحرك ضد الدولة الإسلامية وساندوهم بالإغارة العسكرية على الإسكندرية براً وبحراً بأكثر من خمسمائة سفينة حربية وأكثر من مائة ألف مقاتل فشجع ذلك كثيراً من الشعوب الخاضعة للدولة الإسلامية كالخزر والأرمن وغيرهم من الشعوب الآسيوية على نقض الصلح والمعاهدات مع الخلافة انتهازاً لفرصة مقتل عمر لزعزعة أركان الدولة وإهاضتها ما أمكن، ولكن المسلمين حين سارعوا إلى انتخاب خليفة جديد وأعطوه ولاءهم واجه هذه الفتن حتى أخمدها ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا

خيراً، وانطلقت جيوش الخلافة في مشارق الأرض ومغاربها تلاحق الظلم وتدك عروش الظالمين، مما أذهل أمم الأرض وأثار إعجابها وحسدها لما عليه المسلمون من ترابط وانسجام بين قمتهم وقاعدتهم وبين قاعدتهم بعضها مع بعض فكانوا جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

وبقي الأمر على ذلك حتى تمكن أعداء الإسلام من دس بعض المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ اليهودي، فدخل بفتنته إلى المدينة المنورة عاصمة الخلافة وجعل يتصيد بعض الأشخاص ليجعلهم ستاراً لمؤامراته الهادفة إلى إثارة شكوك الناس بخليفتهم عبر ترويج إشاعات معينة وتفسير حوادث وتصرفات من الخليفة أو من الولاة لتشويه صورة عثمان في أعين الأمة لتعمل على الإطاحة به لعلها بذلك أن تنفتح فرصة جديدة لنشوب الفتن في الأمة فتصل إلى ما لم تتوصل إليه المحاولة السابقة بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما أدرك الخليفة ما يهدف إليه ابن سبأ وأراد إنزال العقوبة به تدخل بعض الصحابة وطلب نفي ابن سبأ من المدينة لأن قتله قد يحدث فتنة لما كان يتمتع به هذا المدسوس من صلات واسعة فنفاه عثمان إلى البصرة فحاول نشر فتنته فيها فنفاه والي البصرة إلى الكوفة فحاول نشر فتنته فيها فنفاه والي الكوفة إلى مصر وهناك باض وفرخ وتمكن من إثارة عواطف الناس ضد الخليفة عثمان مستغلاً بعد الديار وغلبة العاطفة على التثبت لدى كثير من الناس فجيّش الجيوش ضد عثمان بما أثاره من شائعات عنه وتوجهت الجيوش إلى المدينة، وبعد محاورات ومحاولات بينهم وبين عدد من كبار الصحابة فشلت المحاولات لأن المندسين في أوساط هذه الجيوش وقياداتها لم يكن هدفهم معرفة الحق وإنما إثارة الفتنة بين المسلمين ليصطادوا في الماء العكر فتمكنوا من اغتيال عثمان رضي الله عنه.

خامساً ـ في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

ونشب الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان بعد ذلك، علي يطالب بالخلافة أن يعترف بها معاوية أولاً ثم يقتصّ من قتلة عثمان،

ومعاوية يطالب بالإقتصاص من قتلة عثمان ثم يبايع، واشتد الخلاف واندس في أوساط علي من يحرّض على معاوية واندس في أوساط معاوية من يحرّض على عليّ وكانت المجابهة بين الطرفين بعد أو أوغرت الصدور ودب الخلاف والنزاع فكانت المقتلة بينهما وذهب ضحيتها أكثر من ثلاثين ألف مسلم وانتهت بقتل علي بن أبي طالب على يد عبد الرحمٰن بن ملجم الخارجي بحماس ديني مغشوش زرعه في دماغه المندسون في أوساط الأمة من المنافقين واليهود.

سادساً ـ في عهد الحسن بن علي رضي الله عنهما:

استمر القتال بعد ذلك بين الحسن بن علي بن أبي طالب ومعاوية زهاء ستة أشهر أدرك خلالها الحسن أن المعركة لم تعد بهدف إحقاق الحق وإنما هي حرب استنزاف افتعلت بين المسلمين لإنهاك قواهم ثم الإجهاز عليهم وظهر له سعي المندسين في أوساط جيشه وجيش معاوية فقرر التنازل عن الخلافة لمعاوية ليلتئم الصف الإسلامي على رأس واحد فيفوت على المندسين الوصول إلى هدفهم، ولما فعل ذلك سر المسلمون بهذه الخطوة المباركة وسموا ذلك العام بعام الجماعة.

سابعاً ـ في العهد الأموي:

ولما استتب الأمر لمعاوية واجتمعت الأمة عليه حتى كان هو رأسها ومدبر شؤونها رضي الله عنه عادت الجيوش الإسلامية لمواصلة الفتوح الإسلامية ففتحوا بلاد ما وراء النهرين ووصلت الجيوش الإسلامية إلى أقاصي الدنيا فوصلت إلى مشارف الصين شرقاً وإلى أطراف أفريقيا غرباً حتى قال عقبة بن نافع وقد وقف على شاطىء المحيط الأطلسي: والله لو أعلم أن وراء هذا البحر أناساً لخضته إليهم.

ثامناً ـ في العهد العباسي:

واستمر الأمر على ذلك إلى الصدر الأول من العهد العباسي حتى دب الخلاف في الأمة في عهد المأمون حين تمكن المعتزلة من التسلق إلى بطانة

الخليفة وزينوا له مبادئهم فاتخذهم حاشية له فسلطوه على خصومهم أهل السنة لحملهم على القول بمقالاتهم الاعتقادية في صفات الله تعالى والتي ترتب على منهجهم فيها أن قالوا بخلق القرآن وكانت المحنة ودبت الفرقة في الأمة فكفر الناس بعضهم بعضاً وتسلط أهل الشر والضلال على أهل الخير والهدى واستمر ذلك طوال عهد المأمون والمعتصم والواثق بالله حتى كان عهد المتوكل حيث رفع البلاء عن الناس بالتخلي عن المعتزلة فنصر أهل السنة وأزال عنهم الضغوط المادية والأدبية التي مارسها عليهم المعتزلة زهاء اثنتين وعشرين سنة ضعضعت الأمة وفككتها وبقيت الأمة تعاني من آثار ذلك النزاع المرير حتى طمع فيها المغول والتتار فهاجموا البلاد الإسلامية ووصلوا إلى عاصمة الخلافة في بغداد ودكوا معالم الحضارة الإسلامية العمرانية والثقافية والفكرية وقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً وأسقطوا دولة الخلافة ومزقوا الأمة الإسلامية.

تاسعاً ـ في العهد العثماني:

ثم أعاد الله تعالى جمع الصف على العثمانيين الأتراك فواصلوا المسيرة وفتحوا عاصمة النصارى في الشرق حيث سقطت القسطنطينية على يد محمد الفاتح، وخططوا لاسترجاع الأندلس عبر احتلال أوروبا للوصول إلى اسبانيا التي سقطت في أيدي أعداء المسلمين بسبب تعدد الولاءات فيها حتى استعان بعض المسلمين في دويلات الأندلس بالإفرنج على بعضهم الآخر ثم أقام أعداؤهم لهم محاكم التفتيش الرهيبة التي اجتثت المسلمين من إسبانيا (الأندلس) ولاحقتهم هناك حتى فقدوا أرضهم وأموالهم وديست كرامتهم وحرماتهم وأصبحوا مضرب المثل فيما لحقهم من ذل بعدما كانوا فيه من عز.

واستمر العثمانيون على ولاء واحد وتحت لواء واحد زهاء سبعمائة سنة، حتى دب فيهم مرض النزاع في آخر أيام الدولة العثمانية فنشأت فيهم المحاور وتعددت فيهم الولاءات بظهور الحركات القومية والجمعيات السرية والعلنية، وكان من نتيجة ذلك أن انهارت الدولة العثمانية وتمزق المسلمون وتقاسمت الدول الإستعمارية تركة الدولة العثمانية وكان من جملة من شارك في ذلك الأرث اليهود الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة فأنشأوا لأنفسهم أخيراً بعد رحلة

الغدر والخيانة والدس في الشعوب والأمم، كياناً قوياً رغم قلة عددهم بتوحيد ولائهم على رأس فيهم فاستعصوا بذلك على العرب من حولهم رغم كثرة عدد العرب وعدتهم لحلول مرض الفرقة والنزاع والخلاف وتعدد الولاء وانعدام المرجعية الواحدة لهم على صعيد الشعوب والدول.

عاشراً ـ في العصر الحاضر:

واليوم نحن في لبنان كما في سائر الدول العربية والإسلامية وغيرها قد تعدد ولاؤنا عبر تعدد الأحزاب والجماعات والحركات والجمعيات والشخصيات الإسلامية في إطار الحركة الإسلامية، وكل حركة من هذه الحركات تطعن في الأخرى وتشكك في اجتهاداتها وأفكارها وقيادتها لصرف وجوه الناس عنها إليها لتنمو على حساب الطعن في الآخرين فتفككت القاعدة العامة للمسلمين حيث دبت الحيرة والضياع في أوساط المنظمين منهم في هذه الأحزاب وفي غير المنظمين، فلا الذين يعملون في الساحة الإسلامية مطمئنون إلى سلامة خط سيرهم مع شعورهم بحرق طاقاتهم المادية والمعنوية في قسطها الأوفى للرد على التيارات والاجتهادات الأخرى في إطار العمل الإسلامي، وكثيراً ما ينتهي ذلك بكثير منهم إلى الشعور بالإحباط فيترك العمل الإسلامي لأنه لا يرى لهذا الطريق من نهاية، وكلما سار فيه كلما اتسع عليه وابتعدت عنه الغاية وعز عليه الوصول إلى الهدف، ولا الذين لا يعملون في الساحة الإسلامية مطمئنون إلى سلامة موقفهم أيضاً لأنهم يرون أن هذا الجسم الذي يأكل بعضه بعضاً سيأتي يوم يصل فيه التآكل إلى مكامن الحياة فيه ليموت ويفنى من الوجود ويتحول إلى خلايا في أجساد الآخرين.

ومن هنا اقتضت الأمانة التي رضينا بتحملها أن نفكر وأن نسعى جاهدين بكل ما أوتينا من قوة العلم والبيان لإعادة بناء كيان الأمة على صعيد القمة وعلى صعيد القاعدة لتتخذ هذه الأمة دورها من جديد في الصراع الدولي على ظهر هذه الأرض في مختلف الميادين والأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والحضارية، مهتدية في جميع ذلك بهدى الله تعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ لإحقاق الحق والعدل في الأرض. لتعود هذه الأمة كما كانت عامل

خير ورحمة وهداية للجنس البشري في كل مكان ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[1] أي على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وأديانهم ومذاهبهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) سورة الانبياء، الآية: ١٠٧.